

مؤتمر اللغة العربية في تشاد: الواقع والمستقبل

انجمينا/ تشاد 26-29 شوال 1421هـ / 21-24 يناير 2001

حسن أحمد إبراهيم*

تقع جمهورية تشاد في وسط القارة الإفريقية، وعاصمتها السياسية انجمينا. ويجاور تشاد عدد من الدول الإفريقية: السودان شرقاً، والنيجر ونيجيريا والكاميرون غرباً، وإفريقيا الوسطى جنوباً، وليبيا شمالاً. ويبلغ عدد سكان تشاد سبعة ملايين نسمة غالبيتهم العظمى من المسلمين (نحو 85٪) وما تبقى إحيائيون (10٪) ونصارى (5٪). وعليه فمن الطبيعي أن يكون للإسلام والثقافة الإسلامية مكانة مميزة مرموقة في هذا القطر الإفريقي الواعد.

نبذة عن جامعة الملك فيصل

ونظراً لتعطش المجتمع التشادي لتعزيز موقف الحضارة الإسلامية ولغة القرآن الكريم فيه، بادرت نخبة طيبة من أبناء تشاد ومفكرها بقيادة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي بجهود ذاتية محلية لإنشاء جامعة الملك فيصل في انجمينا عام 1411هـ/1991م التي يبلغ عدد طلابها وطالباتها في العام الدراسي 2000/1999 نحو 680 طالباً وطالبة، ويتوقع أن يتضاعف هذا العدد في السنوات القادمة. وبالجامعة كلياتان كلية اللغة العربية، وكلية هندسة الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات، إلى جانب مركز للخدمات الجامعية يهتم بتقديم التدريب السريع للطلاب في الحاسوب الآلي

* أستاذ التاريخ ورتيس قسم التاريخ والحضارة بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، دكتوراه في التاريخ الحديث من كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، 1970.

والخدمات المكتبية، ومكتبة علمية تعد أكبر المكتبات في البلاد، حيث يبلغ عدد المراجع فيها نحو خمسة وعشرين ألف كتاب ومخطوطة في مختلف التخصصات. واللغة العربية هي لغة التدريس الرسمية، كما يشارك في هيئة التدريس نخبة من الأساتذة الأجلاء من تشاد نفسها وجمهورية مصر العربية وجمهورية السودان. ويتلقى الطلاب على امتداد سنواتهم الأربع دراسات مكثفة في تخصصهم الرئيس اللغة العربية والحاسوب، فضلاً عن بعض المواد الإسلامية (القرآن الكريم، والتفسير، والحديث) واللغة الفرنسية. وينال الخريجون درجة الإجازة العالية (الليسانس) التي تمت معادلتها في عام 1994 بالشهادة الجامعية لجامعة الأزهر الشريف. وبالجامعة أيضاً قسم للدراسات العليا في اللغة العربية والتاريخ والحضارة يتوجب فيه على الطالب دراسة عامين يتحصل بعدهما على دبلوم الدراسات المعمقة، ومن ثمّ يسجل للماجستير فالدكتوراه.

وتسعى الجامعة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1 - نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في تشاد والدول الإفريقية المجاورة.
- 2 - العناية بالتراث العربي الإسلامي في تشاد جمعاً وتحقيقاً ونشراً لتسهيل الاستفادة منه.
- 3 - استيعاب الطلبة من حملة الثانوية العربية التشادية أو ما يعادلها لإعداد جيل مستنير بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والعلم النافع، يطور البلاد علمياً واقتصادياً في ضوء تعاليم الإسلام السمحة.
- 4 - إعداد وتأهيل المعلمين لسد الفراغ العلمي والتربوي لدى مدارس التعليم العربي الإسلامي في تشاد والدول الإفريقية المجاورة، وتكوين الباحثين المقتدرين.
- 5 - السعي لإحداث التوازن بين اللغة العربية واللغة الفرنسية في المجال الإداري والتعليمي في مؤسسات الحكومة المختلفة لتحقيق مبدأ المساواة المنصوص عليها في دستور البلاد الذي ينص على ثنائية اللغة في تشاد: العربية والفرنسية.
- 6 - إقامة علاقات تعاون علمي وثقافي مع المؤسسات الجامعية ومراكز البحوث في العالم العربي والإسلامي والدولي للاستفادة من خبراتها.
- 7 - تأسيس الكليات والمعاهد المتخصصة، وعقد الندوات والمحاضرات والمؤتمرات

الدولية في مجال التعليم والدعوة الإسلامية. وانطلاقاً من هذه الأهداف النبيلة أقامت جامعة الملك فيصل بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية وتحت رعاية فخامة الرئيس إدريس ديبي رئيس جمهورية تشاد ندوة علمية في انجمينا خلال الفترة 26-29 شوال 1421هـ الموافق 21-24 يناير 2001م محورها " اللغة العربية في تشاد: الواقع والمستقبل". وشارك فيها إلى جانب بعض العلماء والمفكرين التشاديين نخبة من المتخصصين من بعض البلاد الإسلامية: السعودية، ومصر، والسودان، وليبيا، ونيجيريا، وموريتانيا، والمغرب، كما كان لقناة الجزيرة بقطر حضوراً ملحوظاً في الندوة. وقد مثل الأستاذ الدكتور حسن أحمد إبراهيم رئيس قسم التاريخ والحضارة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في هذه الندوة حيث قدم بحثاً بعنوان "بلاد السودان في المصنفات الإسلامية: عرض نقدي للمصادر العربية ودورها في إثراء الدراسات التاريخية في السودان الغربي والأوسط" كما ترأس إحدى جلسات الندوة.

فعاليات ووقائع الندوة

بدأت الندوة في 21 يناير 2001م بجلسة افتتاحية أمّها جمع غفير، وقدمت فيها بعد تلاوة آيات من القرآن الكريم خمس كلمات رصينة، ابتدئها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي رئيس جامعة الملك فيصل بتشاد بكلمة ترحيب أعقبتها كلمة رئيس جامعة الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم. وبعد ذلك خاطب الجلسة الأستاذ الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الإسلامية ورئيس مجلس أمناء جامعة الملك فيصل بتشاد. أما الكلمة الرابعة فكانت لوزير التعليم العالي والبحث العلمي التشادي السيد لو كيسان نيسلا، وفي الختام ألقى فخامة الرئيس إدريس ديبي رئيس جمهورية تشاد كلمة جامعة أكد فيها أهمية التوجه العربي الإسلامي في تشاد، ووعده بتقديم كل العون لجامعة الملك فيصل الفتية.

وقد ركزت أبحاث ومداومات الندوة على أربعة محاور رئيسة عقدت على مدى أيامها الأربعة ثمان جلسات قدمت فيها نحو خمسة وثلاثين بحثاً إلى جانب ست عشرة مداخلة، وذلك على النحو الآتي:

المحور الأول: دخول الإسلام واللغة العربية في منطقة السودان الأوسط

تعرض الباحثون في هذا المحور للهجرات العربية نحو بحيرة تشاد قبل الدعوة إلى الإسلام، ودخول الإسلام وانتشار اللغة العربية في تشاد فضلاً عن أثر العربية في اللغات التشادية.

المحور الثاني: نشأة الممالك الإسلامية في تشاد

اعتمدت أبحاث هذا المحور بدرجة رئيسة على المصادر والمصنفات التي أعدها الرحالة والجغرافيون والكتاب المسلمون خارج القارة الإفريقية وداخلها. ودرست هذه الأبحاث الممالك الإسلامية المتعددة التي نشأت عبر التاريخ حول بحيرة تشاد موضحة دورها الحضاري ومكانة اللغة العربية المرموقة فيها. وأهم تلك الممالك هي مملكة كانم برنو ومملكة باقرمي ومملكة وداي التي ربطتها جميعاً علاقات وثيقة مع الممالك الإسلامية في غربي الحزام السوداني وفي السودان وادي النيل.

المحور الثالث: اللغة العربية في تشاد في عهد الاحتلال الفرنسي

أشارت أبحاث هذا المحور إلى أن الاحتلال الفرنسي كان على العموم تريباقاً مضاداً للعربية في تشاد حيث قلّص نفوذها وحدّ من انتشارها لصالح اللغة الفرنسية التي ظلت لغة البلاد الرسمية الوحيدة لفترة طويلة. ولكن نخبة طيبة من المثقفين التشاديين - خاصة خريجي البلاد العربية - بذلوا مجهوداً مقدراً لتطوير التعليم العربي الأهلي في البلاد، وبالتالي المحافظة على هويتها الإسلامية في ظل تلك الهجمة الاستعمارية الشرسة.

المحور الرابع: اللغة العربية في عهد السيادة الوطنية

اهتمت أبحاث هذا المحور بوضع اللغة العربية ومسيرتها في تشاد منذ الاستقلال وحتى الآن. وأوضحت بأن المجهود الضخم الذي بذل في هذا الشأن توج مؤخرًا بتعديل الدستور التشادي لتصبح اللغة العربية لغة البلاد الرسمية جنباً إلى جنب مع اللغة الفرنسية.

وفي الجلسة الختامية التي عقدت في صبيحة الأربعاء 24 يناير 2001 تليت وأقرت توصيات الندوة التي أعدت مسودتها مسبقاً نخبة متخصصة من المؤتمرين وألقيت ثلاث كلمات ختامية من الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة والأستاذ الدكتور رئيس مجلس أمنائها وكلمة فخامة الرئيس إدريس ديبي التي ألقاها ممثله.

لا شك أن هذه الندوة قد نجحت في تحقيق أهدافها المتمثلة في تأكيد هوية تشاد العربية الإسلامية، واقترحت سبلاً متعددة لدعم رسمية اللغة العربية المنصوص عليها في

دستور البلاد. وأبرزت الندوة مكانة اللغة العربية السامية في تاريخ تشاد بوصفها أول لغة إدارية خلال حقبة الممالك الإسلامية التشادية، ومحاولات القوى الاستعمارية لإزالتها ومحوها من البلاد. وسلطت الندوة الأضواء على مكانة اللغة العربية في الواقع التشادي المعاصر مما يدعم موقعها في قضية الثنائية اللغوية (العربية والفرنسية) المنصوص عليها في الدستور.

وعلى هامش هذه الندوة اتصل اثناعشر طالبا تشاديا بالأستاذ حسن أحمد إبراهيم لتسهيل أمر التحاقهم بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في تخصصات مختلفة على المستويين الجامعي وفوق الجامعي، وقد اتصل الأستاذ حسن عقب عودته مباشرة بسعادة نائب رئيس الجامعة للشؤون الأكاديمية الذي وجه مشكورا المسؤولين في قسم القبول باتخاذ الإجراءات الفورية لاستيعاب المؤهلين من هؤلاء الطلاب. وتأمل أن يلتحق هؤلاء بالجامعة في الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي القادم 2002/2001م.

ولا بُدَّ في نهاية هذا العرض الموجز من تقديم كلمة شكر وتقدير للأساتذة والعاملين بجامعة الملك فيصل بقيادة رئيس الجامعة الأخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي على ما بذلوه من جهد كبير ومقدر لإقامة ونجاح هذه الندوة العلمية الرائدة، وعلى كرمهم الفياض الذي غمرونا به في حلنا وترحالنا. فجزاهم الله خير الجزاء وبارك الله في جهودهم لدعم مسيرة اللغة العربية والحضارة الإسلامية في القطر التشادي خاصة والقارة الإفريقية عامة.